

مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

إلى أشخاص كثيرين وأحداث كثيرة في العهد القديم كانوا رموزاً للكلمة المتجسد وللاعمال الخلاصية التي حققها.

في إنجيل اليوم، ونحن في الأحد الذي يلي عيد الميلاد، نجد ثلاث نبوءات عن ميلاد السيد والحوادث التي رافقته. هذه غيض من فيض، لأن الكتاب كله موحى به من الله (٢ تيم ٣: ١٦)،

وعمل الله الواحد مع البشر يتكامل في العهدين القديم والجديد معاً. إنطلاقاً من هذه الثابتة فإن من يقرأ بعين المؤمن كتب

العهد القديم يجد نبوءات كثيرة تتعلق بتجسد الكلمة. لعل أبرز الأنبياء الذين أشاروا إلى التجسد هو أشعيا النبي القائل: «ولكن يُعطيكم السيد نفسه آية: ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل» (أش ٧: ١٤). لذلك يتساءل القديس كيرلس الإسكندري: «من من الرجال الأبرار والأنبياء القديسين والآباء البطارقة الذين سُجِّلت أسماءهم في الكتب الإلهية وُلد جسدياً من عذراء فقط؟ أو آية امرأة كانت قادرة أن تحبل بإنسان من دون رجل؟» ثم يتابع أشعيا

تحقق النبوءات عن

تجسد الكلمة

في هذه الأيام نحتفل بحدّثٍ تغيّر معه واقع البشرية. إن البشر الذين كانوا قد تورطوا في فساد الخطيئة الذي دخل إلى طبيعتهم وأفسدها، نزعَت منهم نعمة التمثل بصورة الله، فما

عدادوا يستطيعون أن يدخلوا في شركة الحياة الإلهية. لكن تجسد الكلمة أحدث نقلة نوعية في حياتنا إذ إن المخلص وحده

استطاع أن يحول الفساد إلى عدم فساد وأن يجعل الإنسان المائت غير مائت وأن يخبر البشر عن الأب لأنه هو ابنه الوحيد الحقيقي. هذا العمل الخلاصي بداياته العملية كانت بتجسد ابن الله، لكن التحضير له استمر لآلاف السنين عبر تهيئة البشرية لاقتبال الخلاص الموعود به. من عناصر هذه التهيئة نجد نبوءات كثيرة مختصة بالمسيح تتحدّث عن أصله وتجسده وحياته على الأرض وعجائبه وآلامه وقيامته، إضافة

الرسالة

(غلاطية ١: ١١-١٩)

يا إخوة أعلمكم أن الإنجيل الذي بشرتُ به ليس بحسب الإنسان* لأنّي لم أتسلّمهُ أو أتعلّمهُ من إنسان بل بإعلان يسوع المسيح* فإنكم قد سمعتم بسيرتي قديماً في ملّة اليهود أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراطٍ وأدمرتها* وأزید تقدماً في ملّة اليهود على كثيرين من أترابي في جنسي بكوني أوفر منهم غيرة على تقليدات آبائي* فلما ارتضى الله الذي أفرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته* أن يعلن ابنه في لبس البشر بين الأمم لساعتي لم أصغ إلى لحم ودم* ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى ديار العرب وبعد ذلك رجعت إلى دمشق* ثم إنني بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأزور بطرس فأقمت عنده خمسة عشر يوماً* ولم أر غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب.

العدد ٢٠١٠/٥٢
الأحد ٢٦ كانون الأول
الأحد بعد الميلاد
عيد جامع لوالدة الإله الفاتحة
القداسة وتذكار القديس الشهيد في
الكهنة أفثيميوس ويوسف الخطيب
وداود النبي ويعقوب أخي الرب
اللحن السادس
إنجيل السحر التاسع

الإنجيل

(متى ٢: ١٣-٢٣)

لما انصرف المجوس إذا بملاك الرب ظهر ليوسف في الحلم قائلاً قم فخذ الصبي وأمّه واهرب إلى مصر وكُن هناك حتى أقول لك* فإن هيرودس مزمع أن يطلب الصبي ليهلكه* فقام وأخذ الصبي وأمّه ليلاً وانصرف إلى مصر* وكان هناك إلى وفاة هيرودس ليتمّ القول من الرب بالنبي القائل: «من مصر دعوت ابني»* حينئذٍ لما رأى هيرودس أن المجوس سخروا به غضب جداً وأرسل فقتل كل صبيان بيت لحم وجميع تخومها من ابن سنتين فما دون على حسب الزمان الذي تحققه من المجوس* حينئذٍ تمّ ما قاله إرمياء النبي القائل: «صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها وقد أبت أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين»* فلما مات هيرودس إذا بملاك الرب ظهر ليوسف في الحلم في مصر قائلاً: قم فخذ الصبي وأمّه واهرب إلى أرض إسرائيل فقد مات طالبو نفس الصبي* فقام وأخذ الصبي وأمّه وجاء إلى أرض إسرائيل* ولما سمع أن أرشيلوس قد ملك على

النبي نبوءته عن المسيح: «لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يدعو يا أبي ويا أمي تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدأماً ملك أشور»، (اش ٨: ٤). وهذا فسره القديس أناسيوس الكبير أن المسيح كان ملكاً كبيراً رغم ولادته المتواضعة، فمع كونه رضيعاً في المذود إلا أنه جعل المجوس يسجدون له. إن المسيح لن يكون ملكاً لليهود فقط، بل كل الأمم ستضع رجاءها عليه وهو أعطاهما السلام بدلاً من العداوة: «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله، ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب... فيسكن الذئب مع الخروف ويربض النمر مع الجدي والعجل والسبيل والمسنن معاً، وصبي صغير يسوقها... لا يسوون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر، ويكون في ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محطه مجداً»، (اش ١١: ١-١٠).

إن الرب المتجسد هو ملك عظيم لكنه أيضاً إله لذلك حقق عجائب لا تحصى في ميلاده وأثناء حياته وبعد قيامته، هذه المعجزات كان يتممها الرب بسلطانه الذاتي خلافاً لباقي الأنبياء الذين كانوا يتضرعون إلى الله ليخرج العجائب من أجل البشر. إن المعجزات الكثيرة التي تحققت بظهور المخلص سبق أشعياء النبي فأخبر عنها: «هوذا إلهكم، الانتقام يأتي، جزاء الله، هو يأتي

ويخلصكم. حينئذٍ تفتتح عيون العمي وأذان الصم تفتتح، حينئذٍ يقفز الأعرج كالأيمل ويترنم لسان الأخرس»، (اش ٣٥: ٤-٦).

من جهته، تنبأ دانيال النبي أن الذي سيمسح ليس مجرد إنسان بل هو قدوس القديسين، وأن أورشليم تبقى إلى وقت مجيئه، وبعد ذلك تبطل النبوءة والرويا (دا ٩: ٢٤-٢٥). إذا مع مجيء قدوس القديسين، هذا الذي «سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دا ٧: ١٤)، لن يبقى لا ملك ولا نبي ولا أورشليم لأن حضور الحق ينفي الحاجة إلى الظل. لقد أوضح يعقوب لأولاده في العهد القديم أن مملكة يهوذا تنتهي مع مجيء المسيح (تك ٤٩: ١٠). هذا ما تحقق عند ولادة المسيح التي تمت في الوقت الذي لم يوجد فيه ملك على مملكة يهوذا، إذ يستحيل تواجد ملكين في الوقت نفسه على المملكة نفسها. إن دمار الهيكل وانتفاء وجود ملك أو نبي، «لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبأوا»، (مت ١١: ١٣)، كل هذه الحوادث تشير بوضوح إلى أن كل نبوءة أخذت كمالها بتجسد الكلمة.

كتاب المزامير أيضاً يشير في أمكنة كثيرة إلى تجسد ابن الله، فيقول داود النبي مثلاً: «آه يا رب خلص، آه يا رب أنقذ، مبارك الآتي باسم الرب، باركناكم من بيت الرب». الرب هو الله وقد أشرق لنا» (مز ١١٨: ٢٥-٢٦). الله الذي يدعوه النبي ليخلص الناس، هو الذي أنارهم بحضوره بينهم، إذ أرسل لنا ابنه الوحيد رافة بهم: «أرسل كلمته

اليهودية مكان هيرودس أبيه خاف أن يذهب إلى هناك وأوحى إليه في اللحم فانصرف إلى نواحي الجليل* وأتى وسكن في مدينة تدعى ناصرة ليتمّ المقول بالأنبياء إنه يدعى ناصرياً.

تأمل

«حينئذٍ لما رأى هيرودس ان المجوس سخرُوا به غضب جداً. فأرسل وقتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم» (متى ٢: ١٦).

طبعاً كان عليه أن لا يغضب بل أن يخاف ويتوب. لكن عندما تكون النفس عاصية وغير شكورة لا تتقبل أي علاج يأتي من الله بل تضيف جريمة تلو الأخرى، وتسارع نحو الهاوية. وكأنها عبدة لشيطان الغضب. لذلك لم يحسب هيرودس حساباً لأي شيء بل استشاط غضباً ضدّ المجوس الذين سخرُوا منه وانتقم من الأطفال الذين لم يؤذوه بشيء كما حصل قديماً في أرض مصر لفرعون قبل خروج العبرانيين من هناك.

هنا سؤال مهم يطرحه البعض: لماذا أظهر الله مثل هذه اللامبالاة أمام مقتل الأطفال بعد هرب

فشفاهم ونجّاهم من تهلكاتهم» (مز ١٠٧: ٢٠).

بعد هذا البحث الصغير في كتب العهد القديم عما تنبأ به الأنبياء حول تجسّد المسيح وظهوره لنا، من المفيد التوضيح أننا نتعلّم من الكتب عن مجيئه الثاني المجيد أيضاً. في ظهوره الأول كان متواضعاً ومتخفياً، متألماً ومحكوماً عليه. أما في ظهوره الثاني، فسيأتي المسيح في عظّمته ليقدم للجميع ثمر صلبه، أي القيامة وعدم الفساد، سيأتي لا ليحكم عليه بل ليدين كل إنسان حسب أعماله. إن تحقق النبوءات عن مجيئه الأول لا يترك لنا مجالاً للشك بالنبوءات عن مجيئه الثاني: «وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوّة وأتياً على سحاب السماء» (متى ٢٦: ٦٤). هذا يدفعنا للاستعداد جيداً وللتيقظ كيف نحيا «لأنه لا بدّ أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً» (٢ كور ٥: ١٠).

هيرودس اليوم

تقيم كنيسةنا المقدّسة في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول تذكّار أطفال بيت لحم الذين أرسل هيرودس الملك من يقتلهم بعدما ذهب المجوس من دون أن يخبروه عن مكان المسيح المولود جديداً (متى ٢: ١٦-١٨).

هذا الحدث سبق أن تنبأ عنه إرميا النبي قائلاً: «هكذا قال الربّ.

صوت سُمع في الرّامة نوح بكاءً مرّاً. راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتعرّى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين» (إرميا ٣١: ١٥-١٧). إن هؤلاء الأطفال، كما نسمع في خدمة سحر ٢٩ كانون الأول، قدّموا ضحايا كاملة للمسيح السيّد. لقد ذبحوا من أجله لذلك يملكون معه.

في أيامنا هذه نجد الكثير من الهيرودسين قتلّة الأطفال، إلا أن أطفال هذه الأيام لا يقتلون من أجل المسيح، بل من أجل القاتل نفسه، فكيف يكون ذلك؟

كثيراً ما نسمع عن حالات إجهاض تحدث هنا وهناك لأسباب عديدة أهمها حقوق المرأة في المحافظة على جسدها، وانعدام المسؤولية لدى عنصر الشباب نتيجة سوء فهم الحرية واستعمالها، إضافة إلى الأسباب الاقتصادية والمعيشية التي تصبح دافعاً للإجهاض من دون أن يتذكّر الوالدان كلام الرب: «انظروا إلى طيور السماء، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوي يقوتها. أستم أنتم بالحري أفضل منها؟... اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرّه وهذه كلها تزداد لكم...» (متى ٦: ٢٦ و٣٣).

أصبح الإجهاض في أيامنا أمراً عادياً يتمّ بدم باردٍ وبخاصة لدى المراهقات اللواتي يتأثرن بالحرية التي يتمّ التسويق لها بشكل خاطئ عبر الأفلام والمسلسلات، فأصبحت نتيجة الخطأ إجهاضاً، كما أن نتيجة الخطيئة الموت. هنا تكون النتيجة موتاً مزدوجاً: موت جسدي للجنين، وروحي للأهل.

الصبي. أمام هذا التساؤل أقول إن المسيح ليس سبباً لمثل هذه المجزرة بل قساوة الملك هي التي سببتّها. أراد الله أن يقود الملك إلى الحقيقة الإلهية. لكن هذا الأخير برهن عن جهالة وضعف أمام طبيب النفوس الحكيم.

لماذا غضب هيرودس؟ ألم يعلم ان المولود إلهي؟ ألم يدع رؤساء الكهنة والكتبة ليشهدوا للصبي الإلهي على لسان النبي الذي بشر به بإلهام نور سماوي؟ ألم يلاحظ ان القديم منسجم مع الجديد. ويسمع ان الكوكب يخدم الحدث... وان القدرة الإلهية كانت تدبر كل ذلك كما يليق؟

ولكن مع كل ذلك يتساءلون لماذا سمح الله بمثل هذا الظلم؟ ... أجيب قائلًا: كثيرون يضطهدون ويقعون ضحايا ظلم ولكن الله يحتسب هذا الظلم كفارة لخطاياهم أو انه يهيء لهم أجرًا كبيراً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لقد دانت الكنيسة منذ البداية جريمة الإجهاض وجعلت عقوبته مساوية لعقوبة القتل. نقرأ مثلاً في القانون ٩١ من قوانين المجمع السادس: «إن النساء اللواتي يعطين عقاقير لإسقاط الجنين واللواتي يأخذن السموم لقتل الجنين يقعن تحت قصاص القتل»، كما نقرأ عدداً من القوانين المشابهة لدى القديسين باسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم وفي مجامع مسكونية أخرى. إن الإجهاض في نظر الآباء القديسين والكنيسة هو جريمة مساوية لجريمة القتل.

الأمهات في هذه الأيام لا يشبهن راحيل التي تحدث عنها النبي إرميا. تلك انتحبت على أولادها المقتولين وأما نساء اليوم فيقتلن أجنتهن طوعاً واختياراً لأسباب عديدة. أصبحت الأمومة لدى النساء المهضات نقمة لا نعمة، وبوجودهن انتقلت الأمومة من صورة الرقة التي تغنى بها شعراء العالم أجمع إلى صورة وحشية ترفضها الإنسانية.

إن الأهل الذين يسعون إلى الإجهاض يماثلون هيرودس، في حين أنه على الأزواج أن يكونوا على صورة الثالوث القدوس حيث يكون المسيح هو ثالث فرد في العائلة وهو الذي يجمعها ويباركها ويصونها. فمتى ابتعدنا عن الله اتجهنا نحو الخطيئة وبها نحو الموت. إضافة إلى ذلك، قد أعطينا أمماً كانت مثلاً للأمومة والقداسة، أي مريم العذراء «فخر العذارى والأمهات». فعندما تتبع النساء خطى سيدتنا والدة الإله لن يعدن إلى التفكير بأي أفكار مؤذية، بل

سيسعين إلى القداسة وطاعة الله كما كانت مريم العذراء «أمة للرب». في قنடاق عيد الشعانين يُقرأ على مسامعنا التالي: «أوصنا لابن داود إذ لن تعود الأطفال تذبج كما قيل من أجل طفل مريم، بل وحدك تُصلب من أجل جميع الأحداث والشيوخ». هذا ما فعله المسيح من أجل العالم، إذ صلب حاملاً خطاياهم ومالياً أثمته بدمه الكريم. نحن بأعمالنا الخاطئة نكون جاحدين تجاه هذا العمل الخلاصي بدلاً من أن نتقدس ونسعى إلى التوبة الحقيقية والعيش بحسب الله. وكل امرأة تفكر في أتعاب الحمل وأثاره على جسدها فلتفكر بالعواقب اللواتي يتمتّن الإنجاب ولا يقدرن، وكل من تفكر بالإجهاض فلتفكر براحيل ومريم العذراء وبدلاً من أن تكون عبدة للخطيئة فلتكن «أمة للرب».

ذكرى ختانة الرب

بمناسبة ذكرى ختانة الرب يسوع وعيد القديس باسيليوس الكبير ورأس السنة يتراس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح السبت الأول من كانون الثاني ٢٠١١ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة. ويستقبل سيادته المهنتين يومي السبت والأحد في ١ و٢ كانون الثاني من الساعة ٤ ب.ظ. حتى الساعة ٧ مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعياً على صفحة الإنترنت: www.quartos.org.lb